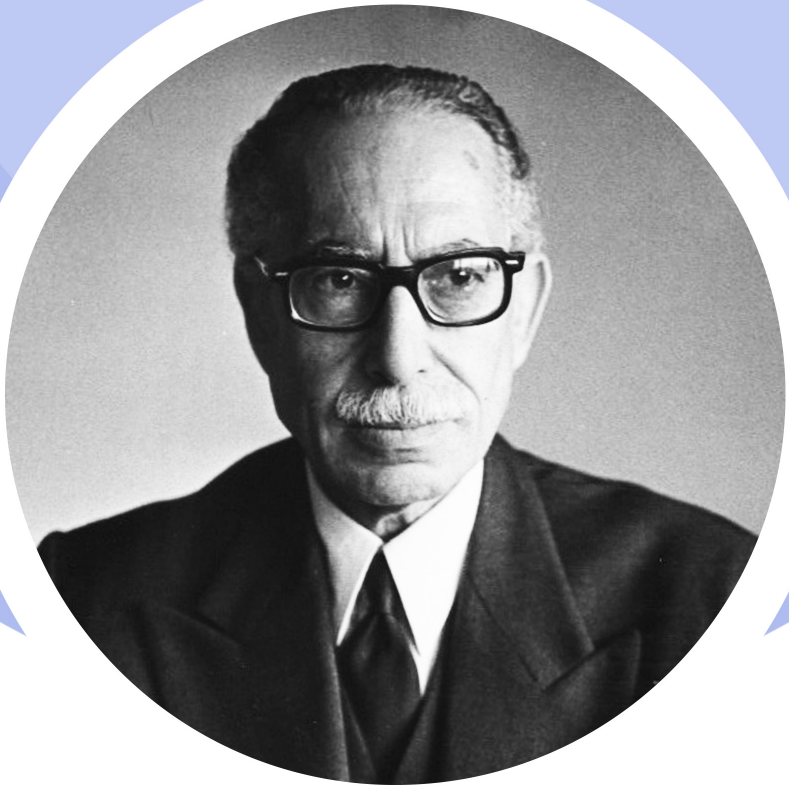

عرف كيف يموت

(من وحي الصحافة والسياسة)

توفيق الحكيم

عرف كيف يموت

(من وحي الصحافة والسياسة)

تأليف
توفيق الحكيم

هنـــداوي

عرف كيف يموت

توفيق الحكيم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٣ ٣٤٢٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٥٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ توفيق الحكيم.

عرف كيف يموت

(مكتب رئيس تحرير صحيفة تصدر في الصباح ... الوقت ليل ... والعمل في الدار على أشده ... ولكن رئيس التحرير ينهض ليستقبل زائرًا ... أدخله ثم أغلق باب الحجرة.)

رئيس التحرير (يشير إلى مقعد بقربه)**:** تفضل هنا يا باشا.

الباشا (يجلس وهو يتلفت حوله)**:** أخشى أن تكون للحائط أذن.

رئيس التحرير: ليس مِن حائط غيري ... أقصد مِن أذن غير أذني ... إني مصغٍ.

الباشا: جئت إليك بخبر الأسبوع!

رئيس التحرير: سنرى.

الباشا: أولًا ... لا تنظرْ إليَّ هذه النظرة، التي تنم عن الارتياب ... إني الآن رجل آخر ... والخبر الذي معي أعرف مصدره؛ كما أعرف نفسي.

رئيس التحرير: من هو المصدر؟

الباشا: أنا نفسي!

رئيس التحرير: أنت تعلم يا «باشا» أنك لم تعُد مصدرًا للأخبار منذ زمن طويل ... وجريدتنا تصدر في الصباح ... أقصد أننا الساعة في أشد زحمة العمل!

الباشا: أعرف أن وقتك ثمين ... وأني في نظركم لم أعد من رجال السياسة الأحياء ... وأن اسمي لم يعد يهم الناس ... وأني أُثقِل على دور الصحف بزياراتي التي تقابَل بالتجلد ... وأضيِّق على الصحفيين بأخباري وأحاديثي التي يتلقونها بالتهرب! ... كل هذا أعرفه ... ولكن ذلك لا يمنع من حدوث أعجوبة ... تجعل مني سياسيًّا حيًّا ... وتعطيكم خبرًا صحفيًّا!

رئيس التحرير: ما هي هذه الأعجوبة؟

الباشا: وفاتي!

رئيس التحرير: وفاتك! ... خبر سيُكتب في عشرة أسطر أو عشرين ... ويُنشر في صفحة الوفَيات العادية أو في صفحة أخرى ثانوية ... لا تؤاخذني على هذه الصراحة ... إنما قصدت أن أعارض فكرتك. وأبين أن وفاتك — لا سمح الله — لن تكون خبرًا صحفيًّا بالمعنى المطلوب.

الباشا: أعرف ذلك أيضًا ... ولكن وفاتي لن تكون تافهة كما تتصور ... إنها ستكون وفاة سياسية مثيرة!

رئيس التحرير: كيف ذلك؟

الباشا: قنبلة ستنفجر، وتودي بحياتي!

رئيس التحرير: قنبلة! ... ومن الفاعل؟

الباشا: خصومي السياسيون!

رئيس التحرير: أين هم؟ ... وإذا وجد بينهم من يحمل لك حتى الآن بغضًا، فما الذي يستفيده من قتلك اليوم؟

الباشا: كانوا يتوجسون خيفة من عودتي إلى النشاط السياسي ... وقد علموا من غير شك أني أعد برنامجًا واسع النطاق ... وأسعى إلى تأليف هيئة جديدة ... وإليك الأسماء وإليك البرنامج. كل شيء مُعد ... حتى تؤمن بأني جاد فيما أقول.

(يخرج من جيبه أوراقًا يقدمها إلى رئيس التحرير.)

رئيس التحرير (وهو يفحص الأوراق)**:** حقًّا ... هذا برنامج من برامجك ... وهذه هيئة ... مما اعتدت تأليفه وإرساله إلى الصحف ... وليس هذا هو المهم ... المهم هو القنبلة! ... كيف عرفت أن هناك قنبلةً مُعدة لاغتيالك؟

الباشا: هذا سر ... اسمح لي أن أحتفظ به في الوقت الحاضر.

رئيس التحرير: وهل أبلغت البوليس؟

الباشا: البوليس؟ ... ولماذا أبلغ البوليس؟

رئيس التحرير: ليقوم بإحباط المؤامرة في الوقت المناسب، والمحافظة على حياتك!

الباشا: ولمصلحة من هذا؟ ... أنا شخصيًّا أرحب بهذه المؤامرة التي جاءت في الوقت المناسب ... أما حياتي فإنها ستُختم ختامًا رائعًا ... ما كان أحد منكم يتصوره أو يخطر له على بال!

رئيس التحرير: حقًّا ... لو حدث هذا لكان خبرًا مهمًّا!

الباشا: يستحق النشر في الصفحة الأولى؟

رئيس التحرير: بالطبع ... مع «مانشيت» بخط كبير.

الباشا: وصورة الفقيد؟

رئيس التحرير: بالضرورة!

الباشا (يُخرج محفظته)**:** إليك آخر صورة ... حتى لا تضيعوا وقتًا في البحث عنها ... عندما تأزَف الساعة ... كل شيء مُعد؟ ... يجب أن تخبرني عن كل طلباتكم من الآن.

رئيس التحرير: يبدو أن لديك تفاصيل دقيقة عن هذا الحادث!

الباشا: ليست كل التفاصيل ... ولكن في استطاعتك على كل حال أن تستفسر عما تريد من بيانات.

رئيس التحرير: أتعرف متى يقع هذا الحادث؟

الباشا: الليلة ... بعد منتصف الليل ... الساعة الثالثة صباحًا ... أيناسبكم هذا الوقت؟

رئيس التحرير (بدهشة)**:** يناسبنا نحن؟

الباشا: في أي ساعة تبدءون في طبع الجريدة؟

رئيس التحرير: «الماكينة» تبدأ في التحرك حوالي الساعة الثانية صباحًا.

الباشا: إذن يجب تقديم موعد الوفاة.

رئيس التحرير: ماذا أسمع؟ ... تعدل موعد وفاتك لتوافق موعد طبع الجريدة!

الباشا: هذا يمكن ... اطمئن!

رئيس التحرير: أَطمئن؟ ... كيف أَطمئن؟! ... إني لا أفهم شيئًا ... يجب أن توضح لي كل هذا الموضوع العجيب!

الباشا (باسمًا)**:** يظهر أني قد نجحت في أن أثير اهتمام الصحافة!

رئيس التحرير: بلا شك ... ولو وقع هذا الأمر الذي تقول عنه لكان خبر الأسبوع بلا جدال!

الباشا: سيقع ... سيقع!

رئيس التحرير: إنك تتكلم بلهجة الواثق ... ولكن نحن كيف نقتنع؟

الباشا: القنبلة الآن موجودة تحت مكتبي ... في سلاملك داري بحدائق القبة ... وهي قنبلة تنفجر في ساعة معينة!

رئيس التحرير: ومن الذي وضعها في ذلك المكان؟

الباشا: خصومي السياسيون!

رئيس التحرير: مفهوم! ... هذا ما سنكتبه ... كن على ثقة، ولكن حقيقة الموضوع؟ ... ما هي؟ ... كيف عرفت أنها ستنفجر في الساعة الثالثة صباحًا؟

الباشا: أخبرني أنت أولًا ... ما الذي يهمك نشره، باعتبارك صحفيًّا: حقيقة تافهة أو أكذوبة رائعة؟

رئيس التحرير: يهمني الخبر الذي يثير الناس، ويهز أعصابهم، ويجعلهم يتحدثون عنه باهتمام في كل مكان!

الباشا: اتفقنا إذن ... لا تسألني عن حقيقة الموضوع ... المهم أن تنشر أني توفيت على أثر انفجار قنبلة، تمكن خصومي السياسيون من وضعها تحت مكتبي، وتصف الحادث بقلمك المعروف، وتسرد تاريخ حياتي ومواقفي الماضية المشهورة ... وتُحلِّي صدر الجريدة بصورة فقيد الوطن ... إلى آخره إلى آخره.

رئيس التحرير: وهل ستنفجر قنبلة، وتحدث وفاة؟

الباشا: طبعًا! ... طبعًا، هذا لا شك فيه! ... قنبلة ستنفجر في مكتبي وتودي بحياتي ... اطمئن من هذه الجهة!

رئيس التحرير: يدهشني أن تستقبل الموت المؤكد هكذا بغير انزعاج!

الباشا: هذه مسألة أخرى، يمكن أن تعلق عليها بقولك أني كنت دائمًا رجلًا شجاعًا ... ولكن لا تذكر بالطبع أني كنت أعرف مقدمًا وجود القنبلة ... لأن المفروض في الاغتيال أنه حدث بدون علمي.

رئيس التحرير: لو أنه حدث بدون علمك لكان الأمر مفهومًا، ولكن العجب هو أن تعلم ثم تُقدِم ... لكأنك تنتحر!

الباشا: حذارِ أن تذكر كلمة الانتحار ... حتى ولا على سبيل التشبيه!

رئيس التحرير: لن أفعل، ولكني أقول ذلك فقط لنفسي محاولًا أن أفهم موقفك ... لماذا ترحب بالموت هكذا؟ ... أَللموْتة المجيدة وحدها، أم ليأسك من الحياة؟

الباشا: تريد حقيقة موقفي؟ ... هذا طبعًا ليس للنشر!

رئيس التحرير: لن أنشر إلا ما تُقرُّني أنت عليه ... تكلم بكل حرية.

الباشا: بعد وفاة ابني الذي استُشهد كما تعلم في معارك فِلَسْطين لم أجد للحياة طعمًا ... بل بدأت أحس شيئًا غريبًا يملأ فراغ أيامي ... هو الاهتمام بالموت ... لم أعد أرى

الموت شيئًا يُتقى، ويُحْذَر منه ... فأغفلت أدويتي وعقاقيري، وأهملت اتباع «رچيم» صحي ضد السكر وضغط الدم، ثم رجَعت إلى خطابات ابني قبل أن يموت، فأعدت تلاوتها ... فعلمتني دروسًا ما كنت أظن أني أتلقاها من ابني ... ثم استُشهد بعد ذلك رئيس ابني في فرقته ذلك الاستشهاد الذي سيخلده على الدهر، ونشرت بعض الصحف مذكِّراته، التي أثرت في نفسي، فحفظتها دائمًا في جيبي ... (يخرج من جيبه قُصاصة) ... أيضايقك أن أتلو عليك منها فقرة هي التي رفعت عن عيني الغِشاوة؟

رئيس التحرير: اقرأ ... اقرأ.

الباشا (يتلو من القُصاصة): «يا له من مكان رائع يختم فيه القدر مسرحية حياتي! ... لقد نظرت إلى مقعد حجري جميل على الطريق الشاعري بين الوادي والجبل ... وقلت: سيجيء الذين يزورون قبري، ويجلسون هنا فيما بعد، يستريحون بعد صعود الجبل، وينظرون إلى اللوحة التي يُكتب فيها اسمي ويومُ استشهادي، هذا ما أتمناه! ... أتمنى أن تنطبق عليَّ كلمة ... كلمة «نيتشه»: إن البطل هو الذي يعرف كيف يموت في الوقت المناسب والمكان المناسب.»

رئيس التحرير: لقد نال ما تمنى!

الباشا: حقًّا ... وانطبقت عليه كلمة ... كلمة (يرجع إلى القصاصة وينظر فيها مليًّا) «نيتشه» ... لقد عرَف ابني ورئيس فرقته كيف يموتان في الوقت المناسب ... والمكان المناسب!

رئيس التحرير: إنهما خُلقا ليكونا من الأبطال.

الباشا: نعم ... أما نحن ... فقليل من جيلنا عرَف كيف يموت في الوقت المناسب والمكان المناسب ... حقًّا إنه لمن البطولة أن يتخير الإنسان موتته ويحسن الاختيار!

رئيس التحرير: ليس هذا بالأمر المهيأ لكل الناس!

الباشا: هذا صحيح؛ ولهذا أُقدِم وأنا على ثقة ... إني رجل وقعت في كثير من الأخطاء، وفي شخصيتي كثير من العيوب ... لست أنكر كل ذلك ... وقد تبدو حياتي للكثيرين تافهة ... ولكن موتتي لن تكون تافهة ... إن العبرة باختيار الموتة كما جاء في كلمة ... كلمة ... (يرجع إلى الخطاب).

رئيس التحرير: «نيتشه»!

الباشا (ينظر إليه بدهشة): أتعرفه؟

رئيس التحرير: قليلًا.

الباشا: لا تنسَ أن تقول عندما تكتب عن وفاتي أني كنت أعرف «نيتشه» هذا معرفة شخصية، وأننا كنا نتبادل الآراء عندما تشتد الأزمات ... ولا أخفي عنك سرًّا إذا قلت لك إننا كنا أحيانًا نتزاور!

رئيس التحرير: لاحظ يا «باشا» أن نيتشه هذا مات منذ نحو نصف قرن!

الباشا: نصف قرن؟ ... لا داعي إذن لذكر مسألة التعارف والتزاور ... وكيف مات هذا الرجل؟

رئيس التحرير: مات مجنونًا!

الباشا: ماذا تقول؟ ... «نيتشه» هذا الذي قال ذلك الكلام، لم يعرف كيف يموت موتة محترمة! ... أرجوك أن تحذف اسمه بالكلية، ولا تُشِر إليه مطلقًا وأنت تكتب عني؛ لئلا يؤثر ذلك في سمعتي، ويشوه من جلال موتتي!

رئيس التحرير: إني لن أكتب عنك إلا ما يجعل منك شخصية الأسبوع ... ولكن قبل كل شيء يجب أن أتأكد من أن الحادث سيتم وأننا سننفرد بنشر الخبر!

الباشا: أما أن الحادث سيتم فهذا في حكم المؤكد ... وأما انفرادك بنشر الخبر فإني طوع أمرك!

رئيس التحرير: ألم تخبر أحدًا غيري بهذا الموضوع؟

الباشا: أبدًا ... وأقسم لك.

رئيس التحرير: وما مصلحتك في أن تخصني بالخبر دون بقية الصحف؟

الباشا: لقد فكرت فعلًا في هذا الأمر، ووجدت أن مصلحتي تقضي بأن تنفرد جريدة منتشرة — مثل جريدتكم — بالنشر أولًا بطريقة مدوية ... تحوي كل البيانات التي يهمني ذكرها، فتُضطر بقية الصحف بعدئذ أن تحذو حذوكم، وتنقل عنكم، وتعطي الأمر عناية مثل عنايتكم ... فأنت ترى أن هذه الخطة في مصلحة الطرفين ... فهي تعطيكم مزية السبق ... وتعطيني فرصة نشر الموضوع بالصورة التي أريدها.

رئيس التحرير: معقول ... بقي أن أعرف بالضبط موعد الانفجار، لأُعِد النشر في الصفحة الأولى ... قلتَ إنه في الساعة الثالثة ... (ينظر في ساعته) نحن الآن في منتصف التاسعة!

الباشا: موعد الانفجار رهن إشارتك!

رئيس التحرير (يفكر): ما دمنا سنُعِد كل شيء قبل الحادث ... فلا داعي لتعديل موعده ... بل ربما كان في التأخير إلى هذه الساعة فائدة ... إن جميع الجرائد الصباحية

الأخرى تكون في تلك الساعة في المطبعة، عاجزة عن تلقي الخبر ... وقد يصل الخبر إلى المحافظة وجهات الاختصاص بعد تمام طبعها، فيكون لنا بذلك ميزة السبق. دع كل شيء إذن كما هو مرتب!

الباشا: أرأيت؟ ها أنت ذا لم تستطع تغييرًا في برنامجي! ... اشهَد لي بأني رجل دقيق غاية الدقة! ... ما حك جلدك مثل ظفرك! ... لقد رتبت مجدي بيدي ... ونظمت خلودي كمن ينظم وليمة! ... هل تسمح لي الآن بالانصراف؟

رئيس التحرير: عندي سؤال شخصي يا باشا؟ أسرتك؟

الباشا: ابني قد استُشهد كما تعلم، وزوجتي متوفاة، ولم يبقَ غير ابنة في سن الزواج تعيش أكثر أيامها عند عمتها في الدقي ... وقد جاءت لزيارتي اليوم، فرأيتها للمرة الأخيرة، وقد تركتها وجئت إليك الآن، وأرسلت إليها سيارتي لتعود بها إلى عمتها، وسأرجع إلى منزلي الآن بتاكسي ... لا أسرة لي اليوم كما ترى، فأنا أعيش بمفردي.

رئيس التحرير: سؤال شخصي آخر: هل أنت مؤمِّن على حياتك؟

الباشا: بمبلغ زهيد ... لا يتجاوز ثلاثين ألف جنيه ... سيذهب بالطبع إلى ابنتي.

رئيس التحرير: ثلاثين ألف جنيه! ... لقد بدأت أقتنع حقًّا بأننا سننشر خبرًا لا شك في صحته.

الباشا (ينهض)**:** والآن ... أترك بين يديك مستقبلي ... أعني مجدي بعد الموت.

رئيس التحرير: حقًّا ... لقد رتبت لنفسك مجدًا، ولابنتك زوجًا، وأرجو أن أوفَّق في أن أنفِّذ كل مطالبك!

الباشا (يمد يده)**:** نسينا أمرًا مهمًّا: الجنازة!

رئيس التحرير: الجنازة؟

الباشا: نعم ... يجب أن ننشر موعدها ... فلتكن في الساعة الخامسة بعد ظهر الغد ... ولكن من أين تبدأ؟ ... ألا ترى معي أن تبدأ من ميدان الإسماعيلية؟ ... ذلك أن مصلحة التنظيم — جازاها الله — قد حفرت أمام منزلي بحدائق القبة حُفرًا عميقة، لتمد أنابيب، أو تطهر مراحيض! ... فالروائح الكريهة تتصاعد ... وأخشى ألا يكون هذا مكانًا لائقًا باستقبال كبار المشيعين؟ ... ما رأيك أنت؟

رئيس التحرير: في هذه الحالة يُستحسن قيام الجنازة من ميدان الإسماعيلية.

الباشا: اتفقنا ... (يمد يده) إني شاكر جدًّا.

رئيس التحرير: العفو! إلى اللقاء! ... أقصد ...

الباشا: تقصد الوداع طبعًا!

رئيس التحرير (متشككًا)**:** تسمح يا «باشا» ... أرسل معك محررًا نشيطًا يصف مكان الحادث ... وصفًا رائعًا ... محررًا اشتُهر بعمل «الريبورتاج»، وستُسَر من وصفه جدًّا ... أقصد سيُسَر القراء من وصفه المبدع.

الباشا: فكرة طيبة.

رئيس التحرير (يضغط على زر فيحضر أحد السعاة)**:** «الأستاذ حسنين» ... «الأستاذ حسنين» بسرعة!

الباشا: «حسنين»! ... أتظن أني أجهله؟ ... لطالما أمليت عليه أحاديث لم ينشرها.

رئيس التحرير: ولكنه هذه المرة سينشر كل شيء.

(الباب يُفتح ويدخل «الأستاذ حسنين».)

الباشا: أهلًا «بالأستاذ حسنين» ... تعالَ معي.

رئيس التحرير (جوابًا على نظرة المحرر المتسائلة)**:** نعم! ... اذهب مع «الباشا» ... وصِف مكان الحادث بالتفصيل.

حسنين: أي حادث؟

رئيس التحرير: سيخبرك به «الباشا» في الطريق ... عن إذن «الباشا» ... (ينفرد بالمحرر ويُسِر في أذنه) لازمه حتى ... حتى الموت ... ولا تَدَعه يتصل بصحيفة أخرى، أو بصحفيين آخرين.

حسنين (يهز رأسه بعزم ويتجه إلى «الباشا»)**:** هلم بنا يا «باشا».

(الباشا يودع رئيس التحرير بحرارة وينصرف مع المحرر.)

رئيس التحرير (يضغط على الزر فيأتي الساعي)**:** سكرتير التحرير! ... (يخرج الساعي على عجل، ويتأمل رئيس التحرير صورة الباشا ويقول لنفسه) أنا الذي سأموت مائة مرة قلقًا على الخبر ... من الآن حتى الساعة الثالثة ... (ثم يمسك بالقلم ويكتب في ورقة).

سكرتير التحرير (يدخل)**:** طلبتني؟

رئيس التحرير: خذ يا أستاذ «فريد» ... إليك «المانشيت» الذي سيوضع في رأس العدد ... (يناوله الورقة).

سكرتير التحرير (يتناول الورقة ويقرأ)**:** اغتيال «عبد السميع باشا رضوان»!

رئيس التحرير: هذا بخط كبير ... وتحته بخط صغير عنوان آخر «من انفجار قنبلة في الساعة الثالثة صباحًا ... والتحقيق مستمر.»

سكرتير التحرير (ينظر في ساعته)**:** نحن الآن في الساعة ... عجبًا!

رئيس التحرير: ما وجه العجب؟

سكرتير التحرير: نُعِد الخبر قبل حدوثه؟

رئيس التحرير: سبق صحفي!

سكرتير التحرير: ويبلغ بنا الأمر أن نسبق «عزرائيل»؟

رئيس التحرير: ولم لا؟

سكرتير التحرير: إنه لا شك سيُدهَش لو اطلع على الخبر، وهو يُجمع في «اللَّيْنوتَيب».

رئيس التحرير: وبذلك نكسِبه قارئًا ... لأنه سيستقي بعد اليوم من جريدتنا أخبار عمله!

سكرتير التحرير: «عزرائيل» من قرائنا؟

رئيس التحرير: هذا هو النجاح الصحفي ... اذهب بسرعة وهيئ «المانشيت»!

سكرتير التحرير: لي سؤال بسيط ... كيف عرفت مثل هذا الخبر؟

رئيس التحرير: من أوثق المصادر.

سكرتير التحرير: إذا كان «عزرائيل» نفسه لا يعرف ... فمن يكون المصدر؟!

(يُفتح الباب ويدخل الساعي معلنًا.)

الساعي: كريمة «عبد السميع باشا رضوان» تريد مقابلة حضرتك.

رئيس التحرير: كريمته؟ ... فلتتفضل! ... تتفضل!

(يخرج الساعي.)

سكرتير التحرير: سأمضي أنا لإعداد «المانشيت».

رئيس التحرير: في أسرع وقت!

(الأستاذ «فريد» يخرج بالورقة والصورة، ويبادر رئيس التحرير إلى هندامه فيسويه وينظمه استعدادًا لمقابلة الآنسة.)

الآنسة (تدخل في شيء من اللهفة)**:** ليلتك سعيدة يا أستاذ.

رئيس التحرير: أهلًا وسهلًا أهلًا ... أهلًا ... أهلًا!
الآنسة: لا تؤاخذني ... جئت في هذه الساعة!
رئيس التحرير: بماذا تأمرين أولًا؟ ... قهوة ... ليمون ... كوكاكولا؟

(يضغط على زر الجرس.)

الآنسة: لا شيء مطلقًا ... أرجوك!
رئيس التحرير: لا يمكن أبدًا ... (يدخل الساعي) ليمون.
الآنسة: أشكرك ... إني جئت الآن ...
رئيس التحرير: إنها لفرصة من أسعد فرص حياتي! ... اسمحي لي أن أعبر لك عن إعجابي ... فأنت مثال للأناقة تفخر به كل مصرية، سنظفر منك ولا شك بأحدث صورة لك؛ لننشرها «بالروتوغرافور»! ... ونكتب تحتها: كمال وجمال ومال! ... ما رأيك في هذا العنوان؟
الآنسة (بدهشة): ومال؟!
رئيس التحرير: طبعًا.
الآنسة: ولكني لست بذات مال.
رئيس التحرير: ستكونين!
الآنسة: كيف؟ ... إني أعرف كل ما نملك لسنا أصحاب ثروة!
رئيس التحرير: ستصبحين ... نحن نعرف الأخبار قبل وقوعها!
الآنسة: مُنجِّم؟
رئيس التحرير: صحفي، ألا تحبين رجال الصحافة؟
الآنسة: بلى ... أحب الصحافة!
رئيس التحرير: هذا من حُسن طالعي ... إني مؤمن بأن طالعي ميمون ... أتعرفين أنكِ الآن قد جعلتِني أفكر في شيء ما فكرت فيه قط؟ ... قد تسألينني ما هو هذا الشيء الذي لم أفكر فيه قط؟ ... الحق أن هناك ثلاثة أشياء لا يغني فيها تفكير ولا ينفع تدبير ... هي الميلاد والزواج والموت ... هذا على الأقل ما كنت أعتقد من قبل ... ولكن يبدو لي أني مخطئ ... لقد تغير الزمن فيما أرى، وأصبح في إمكان الإنسان أن يتخير موتته وزوجته، وربما استطاع أيضًا في المستقبل القريب أن يتخير مولده!
الآنسة: ليس هذا وقت الحديث في هذه الموضوعات ... إني جئت على عجل ...

رئيس التحرير: بل هذا أنسب وقت للحديث في ذلك ... ألا تؤمنين أنت بأن الزوج يستطيع أن يتخير زوجته ... وأن الزوجة تستطيع أن تتخير زوجها؟!

الآنسة: لم أفكر في ذلك بعد ... إني الآن ...

رئيس التحرير: بل يجب أن تفكري في ذلك منذ الآن ... فإنه لن يمضي قليل حتى تتخاطفك الأيدي، ويتنازع عليك الطامعون، ويتزاحم حولك الخاطبون؛ فلا تبصر عيناك في هذا الجمع من يصلح شريكًا لحياتك ... يجب أن تدبري أمرك ببال خالٍ ... وأن تقرري مصيرك في جو هادئ ... انظري أمامك، وتأملي أي نوع من الرجال جدير بمثلك؟ ... أي شخص لامع بارع قدير مثالي خيالي يستطيع أن يظهر في صورة رائعة وإطار جذاب!

الآنسة: يظهر أنك لا تريد أن تعطيني الفرصة كي ...

رئيس التحرير: وماذا أنا أقصد من فتحي هذا الموضوع غير أن أعطيك الفرصة ...

الآنسة (منفجرة)**:** فرصة الكلام ... أرجوك. أعطني لحظة. فرصة الكلام كي أخبرك بسبب حضوري. أبي ... أبي ... أين هو الآن؟ المسألة مهمة ... لقد أخبرني السائق أنه حضر به إلى هنا. أين هو؟ ... أين ذهب؟

رئيس التحرير: ولماذا تريدين أباك؟

الآنسة: لأخبره بما حدث في المنزل.

رئيس التحرير: ماذا حدث في المنزل؟

الآنسة: قنبلة ... وجدت قنبلة تحت مكتبه في «السلاملك»!

رئيس التحرير: ومن الذي وجدها؟

الآنسة: أنا ... ذهبت أضع على مكتبه بعض الزهور ... قبيل انصرافي إلى بيت عمتي ... فلمحت تحت المكتب شيئًا غريب الشكل، فدنوت منه بحذر، وعندئذ تبين لي أنه لا بد أن يكون قنبلة!

رئيس التحرير (بعجلة)**:** وماذا فعلتِ؟ ... أرجو أن تكوني قد تركتِها في مكانها!

الآنسة: أتركها في مكانها حتى تنفجر وتودي بحياة أبي؟!

رئيس التحرير (بقلق)**:** نقلتِها إذن من مكانها؟

الآنسة: طبعًا ... اتصلت بالمحافظة في الحال بالتليفون، فأرسلت خبير القنابل ففحصها وأزال خطرها!

رئيس التحرير (غير متمالك)**:** يا للمصيبة! ... انهار كل شيء من أساسه!

الآنسة (دهِشة)**:** أتسمي زوال الخطر مصيبة؟!

رئيس التحرير (يستدرك): لا ... بل أقصد ... لو وقع الحادث لا سمح الله ... إني أتكلم باعتبار ما كان سيحدث!

الآنسة: فلنحمد الله أني ذهبت إلى المكتب في الوقت المناسب!

رئيس التحرير (بغيظ مكتوم): الوقت المناسب! ... لقد ضاع الوقت المناسب!

الآنسة: لم يضِع شيء ... إن أبي كان متغيبًا لحسن حظه ... كان هنا عندكم، كما بلَغني من السائق ... وإني لفي حيرة: هل أبلغه بأمر القنبلة، فأثير فيه الانزعاج وهو مريض بالسكر؟

رئيس التحرير: أما الانزعاج ... فثقي أنه سينزعج جدًّا ... وسيبكي سوء حظه.

الآنسة: تقصد حسن حظه؟

رئيس التحرير (في غضب خفيٍّ): لست أدري ما أقصد ... إن الخبر وقع عليَّ كالصاعقة! ... لقد فوجئت ... ولا شك أن أباك المسكين سيفاجأ ... إنه لم يكن يتوقع مسألة الزهور هذه!

الآنسة: حقًّا ... ما كان من عادتي أن أصنع ذلك دائمًا ... ولكني اليوم وأنا خارجة، رأيت في الحديقة بضع زهرات من القرنفل الأبيض، فتذكرت أبي الذي عانقني منذ قليل عناقًا حارًّا، فخطر لي أن أضعها على مكتبه.

رئيس التحرير (كالمخاطب نفسه): كان يسره لو أنك وضعتِها فيما بعدُ على ... على ...

الآنسة: ماذا تقول؟

رئيس التحرير: أقول إنه كان يسره لو أنك لم تدخلي مكتبه على الإطلاق، كما كان يسرني ذلك أنا أيضًا.

الآنسة: تقصد أنكما تكرهان تعريض نفسي للخطر؟

رئيس التحرير: لقد عرَّضتِ نفسك وعرضتِ الجميع لأكبر خَسارة! ... كلنا خسرنا بذلك ... أبوك وأنا وأنت! ... لقد أطاحت بآمالنا جميعًا وبمصالحنا بضع زهرات من القرنفل الأبيض!

الآنسة: إنك تتكلم أيضًا باعتبار ما كان سيحدث! ... ولكن ما دمنا قد نجونا جميعًا في الوقت المناسب ...

رئيس التحرير: لا تذكري هذه الكلمة! ... خصوصًا لأبيك! ... من كان يتصور أن «الوقت المناسب» ليس في يدنا نحن ... بل هو شيء ألقته يد خفية داخل إناء أزهارك؟!

الآنسة: ألا ترى أن أخبر أبي بأمر القنبلة؟

رئيس التحرير: بلطف ... بلطف ... وإذا رأيتِ على وجهه علامات الغضب، أقصد الانزعاج ... فاعذريه!

الآنسة: طبعًا! ... طبعًا! ... أين هو الآن؟ ... ألا تعرف؟

رئيس التحرير: خرج من هنا إلى منزله توًّا ... اذهبي إليه بسرعة! ... اذهبي ... اذهبي ... ليلتك سعيدة!

(نهض يشيعها إلى الباب، ويعود إلى مكتبه وهو ينظر في ساعته، وينفخ من الضيق، ويبادر إلى الجرس ... ولكن الباب يُفتح، ويدخل سكرتير التحرير.)

سكرتير التحرير: لقد قمت بمعجزة! ... وقفت بنفسي على الخطاط لأُعِد خط «المانشيت» بالفارسي في هذه السرعة المدهشة ... (يبسط ورقة ويقرأ) «اغتيال عبد السميع رضوان باشا» ... من انفجار ...

رئيس التحرير: مهلًا! ... مهلًا! ... كنت على وشك طلبك، لا يوجد اغتيال ولا انفجار!

سكرتير التحرير: مفهوم ... لم يحدث بعد ولكن سيحدث في الساعة الثالثة!

رئيس التحرير: لن يحدث أبدًا ... ولن يموت عبد السميع باشا رضوان!

سكرتير التحرير: من أين استقيت هذا الخبر الجديد؟

رئيس التحرير: من أوثق المصادر!

سكرتير التحرير: عزرائيل! ... لا بد أنه أصدر تكذيبًا رسميًّا!

رئيس التحرير: القنبلة ضُبطت قبل أن تنفجر ... أسرع وغيِّر «المانشيت»!

سكرتير التحرير: بعد كل هذه الجهود! ... ماذا نضع بدلًا منه؟

رئيس التحرير (يفكر): لست أدري ... بل انتظر ... نستطيع برغم ذلك أن نمضي فيما أعددناه، خصوم الباشا دبروا المؤامرة. ولكنها لم تنجح، لأن كريمته اكتشفت القنبلة في الوقت المناسب! ... اجعل «المانشيت» إذن هكذا: مؤامرة لاغتيال «عبد السميع رضوان باشا» ... القنبلة لم تنفجر!

سكرتير التحرير: فلأذهب إذن في الحال إلى الخطاط والحفار! ... إنهما في حجرتي.

رئيس التحرير: نعم ... لا تضيع وقتًا ... وإلا تأخرنا في الطبع!

(ينظر في ساعته ... بينما يَثِب «سكرتير التحرير» خارجًا من الحجرة ... ويبقى «رئيس التحرير» وحده في حجرته يمشي ذَهابًا وإيابًا مفكرًا ... ثم يسرع إلى التليفون.)

اطلب لي المحافظة! ... مَن؟ ... أهلًا وسهلًا ... هل لديكم خبر عن القنبلة التي وُجدت في منزل «عبد السميع باشا رضوان»؟ ... خبير القنابل ذهب لفحصها؟ أعرف ذلك ... ولكن الذي أريد أن أعرفه هو رأيه ... ماذا؟ ... تقريره لم يقدَّم بعد؟ ... طبعًا لا يُنتظر تقديمه قبل الغد ... ولكن بصفة مبدئية ... ألا يمكن معرفة شيء عن هذا الموضوع؟ ... أكلمك بعد نصف ساعة؟ ... وهو كذلك ... متشكر جدًّا.

(يضع رئيس التحرير السماعة ... وإذا بالباب يُفتح عليه ويدخل المحرر «حسنين» كأنه قنبلة.)

حسنين (في لهفة): الباشا ... «عبد السميع باشا»!
رئيس التحرير (يلتفت إليه بهدوء): أين هو؟
حسنين: مات!
رئيس التحرير: يا لبراعة المحررين ... أهو الذي قال لك ذلك؟!
حسنين: لم يقل لي شيئًا ... ولكنه مات بالفعل!
رئيس التحرير: من قنبلة لم تنفجر؟
حسنين: ومن قال إنه مات بقنبلة؟
رئيس التحرير: وكيف مات إذن؟
حسنين: مات غرقًا!
رئيس التحرير: في النيل؟
حسنين: يا ليت الأمر كان كذلك!
رئيس التحرير: في البحر الأبيض المتوسط؟
حسنين: وهل نحن خرجنا من هنا معًا لنركب قطار البحر أو لنذهب إلى منزله؟
رئيس التحرير: إلى منزله.
حسنين: لا في نهر إذن ولا في بحر.
رئيس التحرير: في ماذا؟ ... في كوب ماء؟
حسنين: يا ليت. في مكان لا يخطر على بال ... إنه لحادث يدعو حقًّا إلى الرِّثاء.
رئيس التحرير: أين يمكن أن يغرق هذا الباشا؟ ... أسرع وأخبرني ... ليس لدينا وقت للأحاجي و«الفوازير» ... لا بد لنا كما تعلم من أن نَصْدُر بتفاصيل الخبر.
حسنين: في مكان ... غير مناسب!
رئيس التحرير: تكلم من فضلك ... سأموت غيظًا!

حسنين: إليك تفصيل الخبر ... وصلنا بالتاكسي إلى قرب منزله، ونزلنا والوقت ليل، والظلام مخيم كأنه أجنحة الخفافيش، والنجوم الشاحبة تهتز خلف الغمام، كأنها ترقص على أنغام «الرومبا».

رئيس التحرير: الرومبا؟ ... من فضلك ... أرجوك ... هذا كلام تكتبه في «الريبورتاج» على مهل، وأنت جالس أمام الورق ... الآن أريد أن أعرف في كلمتين كيف غرق «عبد السميع باشا»!

حسنين: بجوار باب منزله مرحاض.

رئيس التحرير: يا ساتر!

حسنين: مصلحة التنظيم تقوم هناك بإصلاح أنابيب.

رئيس التحرير: عارف؛ ولذلك اقترح أن تبدأ جنازته من ميدان الإسماعيلية.

حسنين: عين الصواب؛ لأن المكان هناك فعلًا ...

رئيس التحرير: دعنا من ذلك، نحن الآن في المرحاض، أقصد في حادث الغرق كيف وقع؟

حسنين: ما كدنا نترك السيارة حتى سبقني هو ليريني طريق الباب بين الحفر العميقة ... ولم يكن هناك غير «فانوس» أحمر واحد موضوع على حاجز خشب في موضع بعيد، وسِرت خلفه أتعثر في أكوام الوحل والتراب، ورفعت رأسي، فلم أجد للباشا أثرًا، فتملكني الغضب، وخفت أن يكون غافلني وذهب يتصل بإحدى الصحف ... وقد حذرتني أنت من ذلك وأوصيتني أن ألازمه حتى الموت! ... فصحت به مناديًا، فسمعت صوتًا ضئيلًا يتصاعد من أعماق بئر قائلًا: «أنا هنا ... أنقذوني إني أغرق!» فاستغثت بالعمال والمارة والخدم، ولكن للأسف عندما أخرجوه من ذلك المكان الكريه، كانت روحه قد خرجت من جسمه، فوثبت إلى التاكسي الذي لم يكن قد انصرف بعد، وعدت به إلى هنا كالبرق لآتيك بالخبر!

رئيس التحرير: يا لها من موتة!

سكرتير التحرير: ربما كان لكل إنسان الموتة التي يستحقها.

رئيس التحرير: ليس في كل الأحوال. اللهم لا اعتراض.

(يدخل «الأستاذ فريد» سكرتير التحرير ... يحمل «بروفة» خطية من «المانشيت» مزهوًّا.)

سكرتير التحرير: صنعنا المستحيل! ... جعلنا الخطاط يضيف كلمة «مؤامرة» ... بعد ربع ساعة يصير المانشيت كله معدًّا على هذا النحو: «مؤامرة لاغتيال ...»

رئيس التحرير: احذف! ... احذف! ... لا توجد مؤامرة ولا اغتيال!

سكرتير التحرير: فاهم ... فاهم ... لأن القنبلة لم تنفجر ... والباشا لم يمُت.

رئيس التحرير: الباشا مات!

سكرتير التحرير: مات؟ ... موتًا حقيقيًّا؟ ... من أين جاء الخبر؟

رئيس التحرير: من أوثق المصادر!

سكرتير التحرير: اسمح لي أن أشك ... اسمح لي أن أُجَن. في أقل من نصف ساعة يموت هذا الباشا ... ثم لا يموت ... ثم يعود فيموت ... ثم لا أدري بعد ذلك ماذا سيكون من أمره؟! ... مَن هذا الذي يهزأ بنا على هذا النحو؟ ... أهو عزرائيل؟ أرجوكم أن ترسوني على بر! ... ارحموا هذا «المانشيت» الذي لا يستقر على حال!

رئيس التحرير: هذه المرة مؤكدة، وعلى عهدتي، واسأل «حسنين» فقد شاهده بعينيه وهو يموت!

سكرتير التحرير: انفجرت إذن القنبلة؟

رئيس التحرير: لم تنفجر!

سكرتير التحرير: عجبًا ... وكيف مات؟

رئيس التحرير: إني غير مستعد لسماع قصة موته مرة أخرى ... «حسنين» يقصها عليك بالتفصيل على انفراد.

حسنين: و«المانشيت»؟

رئيس التحرير: لا داعي الآن «لمانشيت» إن خصومه المزعومين لا يمكن أن يدبروا له مثل هذا المصير! ... إنما هو تدبير من جهة أعلى! ... سننشر الخبر في صفحة داخلية بمنتهى اللباقة والاختصار!

حسنين: ولكنها قصة طريفة وموتة عجيبة، في روايتها بالتفصيل كسب صحفي عالمي.

رئيس التحرير (كالمخاطب نفسه)**:** هناك كسب أهم ... إن الرجل قد مات على كل حال ... وما كان يخلو من مزايا ... وكريمته ذات كمال وجمال و... ويحسن أن نراعي شعورها ... إن الرجل لم يستطع أن يتخير موتته ... ولكني أنا قد أستطيع أن أتخير ... فلنقدم إلى ابنته العزاء ... ولأضع على قبره باقة من ... القرنفل الأبيض!

(ستار)

هنداوي